

للتعليم ، وكانت نقطة الصراع الوحيدة والمقطعة بمشاكل التعليم ، هي التي جاءت في هذه التوصية التي كانت محل اجماع أعضاء المناقضة ، واتصر فيها ممثلو المؤسسات الوطنية الشعبية انتصارا ساحقا :

« لغة التعليم هي اللغة العربية في جميع المراحل الدراسية ، ويشرع في تعليم اللغات الأجنبية ابتداء من الطور الثانوي » .

وبعد مصادقة الجمع العام للمناظرة (400 ممثلا) على هذه التوصية الصادرة عن « لجنة السياسة العامة للتعليم » تمكنت اللجان العشرين الأخرى - بعد أسبوعين من العمل الجاد ليلاً ونهاراً - من إصدار توصياتها المتعلقة بالسياسة الوطنية العامة للتعليم .

وقد انعقدت مناظرة أخرى في أفران للبحث عن أسباب الإضرابات ومحاولات إيجاد حل لها وأصدر المثقفون المغاربة بياناً تاريخياً وقعه 500 من الشخصيات المغربية في طليعتهم كبار العلماء ، وقادة الأحزاب الوطنية ، ونقابات العمال ، واتحادات الطلاب والأساتذة والمثقفون .

ومما جاء في هذا البيان أن الشعب المغربي لا يريد بعد تحرره واستقلاله أن يظل مربوطاً بعجلة آية دولة أجنبية ، وينظر فكره القومي محتكراً لفتتها ، وإنما يريد أن يستوعب الحضارة الإنسانية العالمية بمختلف لغاتها الحية ، وعن طريق التبادل الثقافي والعملي والصناعي ، دون أن يتخلّى قيداً نهلاً عن لغته العربية ، كلّفة رسمية حية ، في التعليم والإدارة والعمل اليومي ، فإن علماء المغرب ومثقفيه ، ورجال الفكر والإصلاح فيه ، يرون من واجبهم القومي والديني بمناسبة الحوار المفتوح حول سياسة التعليم ومستقبله في المغرب :

أولاً - أن يجددوا نصّهم وتحذيرهم من آية سياسة لم تتحقق غير المزيد من فرنسة الاجيال المغاربية الناشئة ، وفرنسة لغة التخاطب العالمية ، وترشيح فرنسة الإدارة والمصالح العمومية والخصوصية بالمغرب المستقل ، مما يهدد وحدة وازدهاره وامنه الفكري .

ثانياً - أن يذكروا بأن التعرّيب الكامل العام ، في التعليم والإدارة والعمل والشارع هو مطلب قومي

لقد استفادت الجزائر منذ استقلالها سنة 1962 من تجربة المغرب السابقة في سياسة التعليم والتعرّيب منذ استقلاله سنة 1956 ، واستطاعت بفضل وضوح رويتها ، وبعد نظرها ، وعمق تجربتها ومحنتها في عهد الاحتلال ، أن تتجنب الأخطاء التي وفع فيها غيرها ، وأن تقرر جعل اللغة العربية أدلة علم وعمل في جميع قطاعات النشاط الوطني ، ودخولها إلى الميادين العلمية والثقافية ، وخلق مدرسة جزائرية ذات صبغة قومية .

وقد تحدث الرئيس الجزائري هواري بومدين يوم 28 أبريل 1970 أمام اللجنة الوطنية لاصلاح التعليم عن التعرّيب بوصفه اختياراً أساسياً لا رجوع فيه ، فاكد بأنه مطلب وطني ، وهدف من الاهداف الكبرى بالنسبة للجماهير ، وقال : انه توجد بالجزائر نخبة وشعب وفي مثل هذه الحالة يجب على النخبة ان ترجع للشعب خاصة بالنسبة لهذا الموضوع ، لأن الشعب هو الذي احتضن عبر القرون كل ما يمثل عنصراً أساسياً لما نسميه اليوم « بمقومات الشخصية الوطنية » .

وبهذا القرار التاريخي الحاسم ، فتحت الجزائر الباب على مصراعيه لتطبيق مبدأ تعليم التعليم ، وديمقراطيته ، ومحاربة الامية ، وتكوين الاطر الوطنية ، وخلق الوعي لدى الجماهير الشعبية باهمية التدابير المتخذة في سياسة التصنيع ، والتطور الاقتصادي ، والاجتماعي ، والاصلاح الزراعي .

تجربة اللغة الأجنبية في المغرب

ومنذ استقلال المغرب سنة 1956 حتى اليوم لم يحدث ان اجمعـت الأحزاب الوطنية ، والنقابات العمالية ، واتحادات الطلاب ، والنقابات العمالية ، واتحادات الطلاب ، والمؤسسات العلمية والثقافية والدينية على مبدأ وطني مثل اجتماعها على ضرورة استعمال اللغة العربية في التعليم والإدارة والحياة اليومية بدل اللغة الفرنسية التي فرضتها الحماية في عهدها السابق .

ففي 13 أبريل 1964 قامـت وزارة التعليم بتجربة عندما نظمت مناظرـة وطنية كبيرة حول التعليم دعت لها 400 شخص يمثلون جميع المؤسسات الحكومية والشعبية لوضع سياسة وطنية قسـارة

معرفته ، وليس نتاج لغته ، أما دعوى عزل الشعب عن تيارات الحضارة العالمية ، فهي مجرد خداع وتضليل للرأي العام الوطني .

3 - ان السكان يتسبقون ، حسب زعم هؤلاء ايضا ، لتسجيل ابنائهم في مدارس البعثات الاجنبية ، حرصا منهم على ان يتلعلموا بلغتها ، والحقيقة هي ان طبقة من السكان المترفين اذا كانت تقر من مدارس الدولة الرسمية – وهذا لا يشرف اية حكومة بهذا الوضع – فليس ذلك لتعلقها اكثر باللغة الاجنبية ، ولكن لأنها تخشى المصير التعمى الذي ينتظر ابناء الشعب الذين يفدون المدرسة دون ان يحصلوا حتى على شهادة الثانوية العامة .

4 - ان استعمال اللغة الاجنبية أصبح مرتبطة بالصالح الاقتصادية والثقافية والسياسية للدولة صاحبة هذه اللغة ، وبمساعدةها المختلفة للدولة التي تستعمل لغتها ، ومن شأن التحول الى اللغة الوطنية ، حسبما يعتقد هؤلاء ، ان يسيء الى علاقات الدولتين ، والى صالح المنتفعين فيهما ، وليس من شأن دولة غير ثورية ان تقوم على مثل هذه الخطوة الجريئة .

5 - ان استعمال اللغة الاجنبية قد يكون - فضلا عن الاسباب السابقة - لمجرد الحاجة ، لأن الدولة المعنية لا تملك لغة علمية مكتوبة ، او بسب الضغط الاستعماري المتواصل ، او فقط عبارة عن اختيار سياسي لتحقيق اهداف سياسة معينة ، قليما يقع الانتباها لها . او لأن النخبة الحاكمة لا تزال تشعر بالنقض تجاه المستعمر القديم وتجاه لغته ، فهي لا تجرؤ على المس بالمؤسسات التي خلفها ، وكثيرا ما تجتمع اغلب هذه العوامل في البلد الواحد .

هذه ، على الاقل ، خلاصة الاسباب التي تجعل اغلبية الدول الافريقية تتبنى اللغات الاجنبية ، دون ادراك واع منها بأن هذا التبني يشكل عقبة كبرى في طريق نمو شعوبها ، وتقدمها ، واستقلال طاقاتها البشرية .

الفارق سيعملون عاجلا او آجلا من اللغات الاجنبية :

وهناك شعور متزايد لدى الرأي العام ، ولدى المؤسسات الوطنية في الاقطار الافريقية بأن الدول الغربية المستعمرة السابقة لها ، كانت تهتم بنشر

اجمعت عليه الامة منذ الاستقلال ، وهو لا يعارض بحال من الاحوال مع دراسة اللغات الاجنبية الحية كلغات ، ولا يتناقض مع رغبتنا جميعا في التفتح على حضارة القرن العشرين ، وإنما يؤكّد فقط رغبة الشعب المغربي في المحافظة على مقومات شخصيته الوطنية ، ومن المعلوم انه لا يمكن لهذه الشخصية ان تنمو وتزدهر الا في اطار اللغة القومية ، ولا يمكن للتعليم ان يصبح شعريا وديمقراطيا ومزدهرا الا باللغة القومية .

ثالثا - ان ينبهوا الى التجني الذي يرتكب في حق اللغة العربية عندما يراد ربطها بالوضع الذي يوجد عليه العالم العربي اليوم ، وبالنقص الذي يلاحظ في المصطلحات العلمية الحديثة ، مع انه لا ينكر احد ان اللغة العربية كانت هي اللغة العلمية العالمية الوحيدة في العصور الاسلامية الراحلة (القرون الوسطى في اوروبا) ، وان تخلها اليوم في ميدان المصطلحات الحديثة لا يرجع لعجزها هي ، بل لجمود المجتمعات العربية التي عليها ان تقوم بسد هذا النقص في الميدان النفوسي ، في نفس الوقت الذي تعمل فيه على سد نقصها في الميادين العلمية والصناعية ، ذلك ان اللغة العربية ، بكل اللغات الحية ، لا يمكن ان تتطور وتتقدم بمعزل عن الحياة والعلم والمجتمع ، وأبعادها عن ان تكون لغة التعليم والادارة والعمل ، هي الطريق المفضية بها الى الموت البطيء ، لا الى الحياة الخالدة .

أسباب المحافظة على اللغات الاجنبية بافريقيا :

1 - ان اغلب المسؤولين والمشرفيين على سياسة التخطيط يجعلون هم انفسهم لغتهم الوطنية ، لأنهم تعلموا باللغة الاجنبية التي لا يزال نفوذها مستمرا بالرغم من استقلال بلدانهم ، وحيث انهم عاشوا في هذا الوضع ، واندجو فيه اداريا فهم يخشون اي تغيير قد يمس مصالحهم بسوء .

2 - ان عودة اللغة الوطنية لاحتلال مركزها الطبيعي كلغة رسمية للدولة سيؤدي حسبما يزعمه هؤلاء الى خلل في سير الادارة ، والى انخفاض المستوى في التعليم والتكون ، والى عزل الشعب عن تيارات حضارة القرن العشرين . والواقع ان الخلل الاداري ، وانخفاض المستوى ، هما بعض ما تعانيه هذه البلدان ، بالرغم من استعمال اللغة الاجنبية ، لانها نتيجة لسلوك الرجل ومستوى